



ARID Journals

ARID International Journal of Educational and Psychological Sciences (AIJEPS)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijeps>

ARID

ARID International Journal of Educational and Psychological Sciences
مجلة أريد الدولية للعلوم التربوية والنفسية
VOL. 4 NO. 8 July 2023 ISSN : 2788-662X



ARID
ARID PUBLICATIONS
MANAGING EDITORS

مجلة أريد الدولية للعلوم التربوية والنفسية

العدد 8، المجلد 4، تموز 2023 م

السيكولوجيا بين المعرفية الساخنة والمعرفية الباردة

وفاء كرتاني* بنعيسى زغبوش

مختبر السوسولوجيا والسيكولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهرار

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

Psychology Between Hot and Cold Cognitive

Wafae Gartani * Benaissa ZARHBOUCH

Psychological, Sociological and Cultural Studies laboratory,

Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez, Morocco

wafaegar@gmail.com

arid.my/0007-3641

<https://doi.org/10.36772/arid.aijeps.2023.489>

ARTICLE INFO

Article history:

Received 03/12/2022

Received in revised form 09/01/2023

Accepted 18/04/2023

Available online 15/07/2023

<https://doi.org/10.36772/arid.aijeps.2023.489>

ABSTRACT

This study discusses psychological research perspectives in the concept of emotional intelligence which represents an interplay between hot and cold cognition. This study aims to correct the dominant view of intelligence and emotion; reveal the importance of the interaction between these two concepts in the construction of emotional skills, in the adaptation of humans, and their well-being concerning their psychological and physical health as well as their professional and social life. In addition to concretizing this intelligence at the level of its structures and its neuro-psychological processes.

Thus, the future prospects are initially: the expansion of studies to study the influence that emotional intelligence can exert on mental functioning (cognitive, and neuropsychological), the deepening of research on psycho-cognitives and neuropsychological connections underlying emotional and cognitive functions, and the innovation of rehabilitation treatments based on the development and improvement of these functions.

This is a theoretical study, with an analytical approach, which concludes that despite the importance of emotion in life stability, studies that have dealt with the interaction between hot cognition and cold cognition are still few and modern. This calls for deepening the research into the nature of this interaction, its quality, degree, mechanisms, and results at the level of various areas of life, on one hand; and on the other hand; to clarify whether emotional processes, in turn, are able to interfere in the functioning of cognitive processes in general, and executive processes in particular.

Keywords: emotional intelligence; cognitive processes; neuropsychological concretization; research perspectives; treatment.

المخلص

تناقش هذه الدراسة آفاق البحث السيكولوجي لمفهوم الذكاء الوجداني، والمتمثل في التفاعل بين المعرفية الساخنة والمعرفية الباردة، بهدف تصحيح النظرة السائدة عن مفهومي الذكاء والوجدان؛ وإبراز أهمية التفاعل بينهما في تحقيق التكيف النفسي للأفراد، والكشف عن ارتباط الكفاءات الوجدانية بمتغيرات تهم جودة الحياة السيكولوجية، والصحية، والمهنية، والاجتماعية؛ إضافة إلى تعقيد هذا الذكاء من الناحية التطبيقية، على مستويات بنياته وسيروراته وأسس السيكو-عصبية. كما سيتم إبراز الآفاق التي يفتحها البحث في هذا المفهوم؛ انطلاقاً من التأثير الذي يمارسه على الاشتغال الذهني للإنسان: معرفياً، وسيكو-عصبياً؛ وما يستلزمه من تعميق للبحث في الاقترانات السيكو-عصبية-معرفية؛ القائمة بين الوظائف الوجدانية، والوظائف المعرفية، وتطوير برامج تأهيلية تروم تطوير هذه الوظائف، وتحسينها. إنها دراسة نظرية، ذات منهج تحليلي، تخلص إلى أنه رغم الأهمية التي يكتسبها الوجدان في الحياة، إلا أن الدراسات التي تناولت التفاعل بين المعرفية الساخنة، والمعرفية الباردة، لا زالت تنسم بالقلّة والحداثة، الأمر الذي يستدعي تعميق البحث في طبيعة هذا التفاعل، ونوعيته، ودرجته، وميكانيزماته، ونتائجه على صعيد مختلف مجالات الحياة؛ من جهة، ومن جهة أخرى؛ لتوضيح إن كانت السيرورات الوجدانية بدورها قادرة على التدخل في اشتغال السيرورات المعرفية عامة، والتنفيذية خاصة.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الوجداني، السيرورات المعرفية، التعقيد السيكو-عصبي، آفاق البحث، العلاج

تعنى السيكولوجيا المعرفية بمحاولة فهم سلوك الإنسان، وسيرواته المعرفية، ووجدانه؛ وبتفسير العمليات الذهنية المسؤولة عن السلوكيات، انطلاقاً من تطويرها لتقنيات البحث في أساليب النفاذ إلى الذهن (العلبة السوداء)، بما أنه ممكن العمليات المعرفية المسؤولة عن إنتاج استجابة معينة، دوناً عن غيرها من الاستجابات العديدة المحتملة للمثير نفسه. وبناء عليه، اعتبرت السيكولوجيا المعرفية الذهن، نظاماً لمعالجة المعلومات الوافدة إليه من المحيط عبر الحواس، فاهتمت بتحديد طبيعة اشتغاله المعرفي، وسيروراته، أثناء إنجاز مهمة أو مهام معينة، ودراسة الميكانيزمات الذهنية المتدخلة بين المثير والاستجابة، في مختلف مراحل المعالجة، عوض الاقتصار على دراسة السلوك كاستجابة حتمية، وشرطية للمثير. بل أكثر من ذلك، أصبح الوجدان في قلب اهتمام السيكولوجيا المعرفية، حيث أكدت هذه الأخيرة، مع ميتكالف Metcalfe وميشيل Mischel (1999؛ نقلاً عن: ماكيستيو Maquestiaux، 2017؛ 216-218) أن الاشتغال المعرفي، لا يمس فقط التمثلات الباردة (المعرفيات)، وإنما أيضاً التمثلات الساخنة (الوجدان)؛ وبأن لكل منهما نظام سيكولوجي متميز: نظام بارد Cold System، ونظام ساخن Hot System، قابلان للتفاعل، والتداخل فيما بينهما. فما خصوصيات هذين النظامين، وكيف يمكن التمييز بين المعرفية الباردة، والمعرفية الساخنة؟ وكيف يمكن تحقيق التفاعل بينهما من خلال نموذج: الذكاء الوجداني؟ وما أسسه السيكو-عصبية؟

إن الجواب عن الأسئلة النظرية السابقة، يسمح لنا بتأطير الموضوع ضمن إشكالية العلاقة القائمة بين الوجدان والمعرفية، باعتبارها إشكالية قديمة قدم التفكير الفلسفي، لكنها تتجدد بتجدد الأبحاث المرتبطة بها في المجال السيكولوجي خصوصاً، وتتجدد النتائج المتوصل إليها تجريبياً. ومن ثم، نطمح إلى تحقيق أربعة أهداف أساساً من مناقشتنا لهذه العلاقة:

- تغيير النظرة السائدة عن مفهومي الذكاء والوجدان؛ وإبراز أهمية التفاعل بينهما في تحقيق الذكاء الوجداني لدى الأفراد.
- إثبات أهمية الذكاء الوجداني، والدور الفعال الذي يلعبه في تحقيق تكيف الأفراد، ونجاحهم في الحياة.
- فهم البنيات والسيرورات السيكو-عصبية التي يستند إليها الذكاء الوجداني.
- إبراز الأفاق التي يفتحها البحث في هذا المفهوم على جودة حياة الأفراد.

وارتباطاً بهذه الأهداف، تبرز أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الدور الإيجابي الذي يلعبه الوجدان في حياة الأفراد، وتغيير النظرة السلبية عنه، وتبيين الأسس العلمية، والموضوعية التي تستند إليها النتائج المرتبطة بالذكاء الوجداني، كمفهوم سيكو-معرفي، مقعد من الناحية السيكو-عصبية، وقائم على التفاعل بين الوجدان والمعرفية، وذو انعكاس إيجابي على سلوك الفرد، وصحته، وعلاقاته، وأدائه، ومردوديته. ومن ثم، ضرورة استثمار هذه النتائج في تحسين جودة حياة الأفراد.

وبناء على التحديدات السابقة، فإن الأسئلة الإجرائية الموجهة لتحليل البحث تتمثل فيم يلي: ما أهمية الوجدان؟ هل هو فعلا عنصر مشوش ومربك لتفكير الفرد، ولقدرته على اتخاذ القرارات الصائبة؟ ما مدى قدرة الجانب المعرفي وحده على ضمان نجاح الأفراد في حياتهم؟ هل يتحقق التوازن النفسي للأفراد، وتكيفهم مع محيطهم بتحكيهم للعقل، وعزلهم للوجدان؟ كيف يمكن لمفهوم "الذكاء" بمسحته المعرفية الباردة، أن يقتصر بمفهوم "الوجدان" بمسحته المعرفية الساخنة، وينصهرا معاً في تشكيل مفهوم جديد، هو مفهوم "الذكاء الوجداني"؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، اعتمدنا المنهج التحليلي الاستنباطي، الذي يركز على تحليل الدراسات السابقة (السيكولوجية والعصبية)، ومناقشة نتائجها، واستنباط علاقات جديدة منها.

1. الذكاء الوجداني: تفاعل بين المعرفيتين: الباردة والساخنة

تستلزم مناقشة هذه النقطة تحديد الفروق النظرية والمفاهيمية بين مفاهيم: الذكاء، والوجدان، والذكاء الوجداني.

1.1. الذكاء

لعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة "الذكاء"، مرادفات مثل: الفطنة، والنبوغ الذهني، والمعامل العقلي الذي تحدده اختبارات الذكاء الكلاسيكية، من خلال قياسها السيكومترية لأداء الفرد أثناء إنجازه للمهام المعرفية. إنه أمر طبيعي، لأنها النظرة نفسها التي كانت سائدة لدى الباحثين الذين اهتموا بدراسة هذا المفهوم، حيث عرفوه على مدى فترة من الزمن، من خلال بعده المعرفي، المتمثل في قياس القدرات المعرفية. طور هؤلاء الباحثون اختبارات لقياس الذكاء، تنبني على هذا الأساس، أشهرها: سلم الذكاء الذي أعده بينيه Binet، وسيمون Simon (1905)، لتحديد العمر الذهني للأطفال، والكشف عن أولئك المتخلفين ذهنياً. لتتم إضافة صيغة معامل الذكاء (QI) من طرف تيرمان Terman (1916) لاختبار بينيه، وسيمون، والمتمثلة في: العمر الذهني مقسوم على العمر الكرونولوجي، والحاصل مضروب في مئة (نقلا عن: كوتسو Kotsou، 2016: 19، 20). ظل هذا التوجه سائداً، إلى أن تبين عجز اختبارات القدرات المعرفية عن التنبؤ بشكل واضح بنجاح الفرد في مختلف مواقف الحياة، خاصة على المستويين: الاجتماعي والمهني (معمرية، 2005: 41، نقلا عن: علي، وحموك، 2014: 120)، فظهرت النظرة التعددية للذكاء مع كل من ثورندايك Thorndike (1929) الذي اقترح تصنيفاً ثلاثياً للذكاء، يشمل الذكاء الاجتماعي (الزغلول، وعلي، 2010؛ نقلا عن: علي، وحموك، 2014: 121)، وويكسلر Wichsler (1958) الذي ضمن اختباره للذكاء، الجوانب التي تقيس القدرات الاجتماعية والانفعالية، على اعتبار أن العوامل الشخصية والانفعالية والاجتماعية، هي جوانب غير معرفية، لكنها ضرورية للتنبؤ بقدرة الفرد على النجاح في الحياة (شيرنيس Cherniss، 2000: 1، نقلا عن: علي، وحموك، 2014: 121)، وغاردنر Gardner (1983) الذي طور نظرية الذكاءات المتعددة، التي تنطوي أيضاً على الذكاءين: داخل-الشخصي Intra Personal، وبين-الشخصي Interpersonal (جابر، 2003؛ نقلا عن: علي، وحموك، 2014: 123-

122). ليبيرز بعدها مفهوم الذكاء الوجداني مع سالوفي Salovey، وماير Mayer (1990)، وكولمان Goleman (1995)، وغيرهم من الباحثين الذين اهتموا بالمهارات، والكفاءات الوجدانية.

يمكن، إذن، استنتاج أن الذكاء الذي كان ينظر إليه بصيغة المفرد، أضحى يتكون من عناصر فرعية ضرورية، من بينها: المكون الوجداني، فما المقصود به؟

2.1. الوجدان

لطالما كان ينظر للوجدان بمختلف حالاته التي تزخر بها حياة الفرد، مثل: الأحاسيس، والعواطف، والانفعالات... على أنه عنصر جامع، يشوش صفاءه الذهني، ويربك تفكيره، وبالتالي؛ يمنعه من اتخاذ القرارات الصائبة في حياته. بل إن الفكرة التي كانت سائدة، حسب قشطة (2009: 33؛ نقلا عن: علي، وحموك، 2014: 120) هي أن حياة الإنسان كانت ستكون أفضل، لو أنه يقوم بتحكيم عقله، وعزل انفعالاته، حتى لا تشوش تفكيره السليم.

إلا أن الأبحاث المنجزة أواخر القرن العشرين أوضحت أن الوجدان ليس عنصراً مشوشاً، كما كان شأنه، وإنما هو مصدر حقيقي للمعلومة القيمة، التي تسهل اتخاذ القرار المناسب، والكشف عن الخطر، والاستجابة السريعة لمواجهته، حتى قبل إدراك طبيعة هذا الخطر، وتحليله بشكل واعٍ (ميكولاجسزك Mikolajczak، 2014: 35). ومن ثم، يُسجّل أن الوجدان عامل مهم لعملية تكيف الفرد مع البيئة (أوهمان Öhman، 2001)، وللتحفيز الضروري للرفاه النفسي على المدى الطويل، حتى وإن تعلق الأمر بالحالات الوجدانية السلبية (نقلا عن: ميكولاجسزك، وكوادباش Quoidbach، ونيليس Nelis، وكوتسو، 2014: 263).

لا عجب؛ إذن، إن تبين أن التمثلات عن العالم الخارجي، لا تقتصر على التمثلات الباردة، ذات الطابع المعرفي الصرف، وإنما تتضمن أيضاً تمثلات ساخنة، ذات طابع وجداني. حيث يتم الاشتغال الذهني على هذه التمثلات وفق نظامين: نظام بارد، معرفي محض، يختص بالتفكير، والضبط، والمعالجة البطيئة، ويخضع للمراقبة الذاتية، مادامت سيرورات اشتغاله سيرورات واعية؛ ونظام ساخن، وجداني، يختص بمختلف الحالات الوجدانية، من قبيل: الانفعالات، والعواطف، والرغبات. يتسم هذا النظام بالاندفاعية، وسرعة المعالجة، لأنه يخضع للتأثير المباشر لمثيرات البيئة، وللسيرورات الآلية (ميتكالف، وميشيل، 1999؛ نقلا عن: ماكيستيو، 2017: 216-218).

من هذا المنطلق، يبدو أن كلا من "الذكاء" و"الوجدان" يخدمان تكيف الفرد مع بيئته، لكن السؤال المطروح، كيف يمكن لمفهوم "الذكاء" بمسحته المعرفية الباردة، أن يقترن بمفهوم "الوجدان" بمسحته المعرفية الساخنة، وينصهر معاً في تشكيل مفهوم جديد، هو مفهوم "الذكاء الوجداني"؟

3.1. الذكاء الوجداني

من المعلوم أن الأفراد يختلفون من حيث مستوى قدراتهم، ومهاراتهم المعرفية، المعبر عنها بالذكاء المعرفي، فهل يمكن القول إنهم يمتلكون بالمثل قدرات وجدانية مختلفة، تحدد مستوى نجاحاتهم الوجدانية في تحقيق التكيف، والنجاح في الحياة؟ إن كان الأمر كذلك، كيف تكون هذه القدرات الوجدانية مسؤولة؛ إلى جانب الذكاء المعرفي؛ عن تكيفهم الناجح مع البيئة؟ وكيف يتم إقرانها بالذكاء؟

اعتبر سالوفي وماير (1990)، وماير وسالوفي (1997؛ نقلا عن: ديجو Dejoux، وديرمنت-فرير Dherment-Férère، وويكتلر Wechtler، وأنزيو Ansiau، وبرجري Bergery، 2011) أن الذكاء الوجداني، عبارة عن قدرات معرفية توظف في معالجة المعلومة الوجدانية، بهدف تعزيز النمو الوجداني والفكري؛ وبأن الأفراد يختلفون في قدرتهم على معالجة المعلومة الوجدانية، وكذلك في قدرتهم على إقامة علاقة بين هذه المعالجة الوجدانية، والمعالجة المعرفية العامة (ستيس Stys، وبراون Brown، 2004). إنها قدرات، أو مهارات، تنتظم وفق تسلسل هرمي، ينطلق حسب ماير وسالوفي وكاريسو Caruso وسيطارينيوس Sitarenios (2003) من السيرورات السيكلوجية الأساس، وصولاً إلى السيرورات الأكثر تعقيداً؛ والتي تتطلب قدرة وجدانية أعلى، ترتبط بالتدبير الواعي والمفكر فيه للحالات الوجدانية؛ ومن ثم، دمجاً للوجدان مع المعرفية (ألبرت Albert، 2012؛ 11؛ ستيس، وبراون، 2004).

وضح جوزيف Joseph ونيومان Newman (2010)؛ من جانبيهما؛ أن الذكاء الوجداني ما هو إلا نوع من الذكاء، أو المهارة الذهنية، أو القدرة المرتبطة بالوجدان، وبالمهارات المعرفية. كما سار ونغ Wong ولاو Law (2002) على نهج سالوفي وماير (1990)، من حيث إن الذكاء الوجداني يقوم على التفاعل بين الوجدان، والمعرفية، وأن مهاراته لا تعزز فقط النمو الوجداني للفرد، وإنما أيضاً نموه الفكري (ونغ، ولاو، 2002).

في حين يرى كولمان (2001) أن الذكاء الوجداني، يتضمن كفاءات مختلطة تتنوع بين الكفاءات الوجدانية، والاجتماعية، والشخصية، والمعرفية.

وطالما يحظى الذكاء الوجداني بهذه الأهمية، فما أهم الكفاءات التي يستند إليها؟

لم تتمكن النماذج التي تناولت مفهوم الذكاء الوجداني، بالدراسة، والبحث، من إيجاد تعريف موحد لهذا الذكاء؛ فهناك من يعتبره ذكاءً خالصاً مثل: ماير وسالوفي (1990)؛ وهناك من يتمثله كقدرات ذهنية مرتبطة بالوجدان، والمعرفية، وأبعاد الشخصية، مع اختلافه عن هذه الأخيرة من الناحية المفاهيمية، مثل: ونغ ولاو (2004)؛ ومن الباحثين، من يجده تجسيدا لقدرات وجدانية، واجتماعية، غير معرفية، مثل: بارون (2006)؛ ومن يراه سمة للشخصية، مثل: بيتريد Petrides وفورنهام Furnham (2001)؛ أو خليطاً من الكفاءات الوجدانية، والاجتماعية، والمعرفية، مثل: كولمان (2001)؛ لكن، رغم هذا الاختلاف؛ يوجد اتفاق ضمني بين معظم هذه التعاريف، على اشتغال الذكاء الوجداني على خمس كفاءات أساس، حددت حسب ميكولا جيسراك (2014ب: 7) في: التعرف الوجداني، والفهم الوجداني، والتعبير الوجداني، والضبط الوجداني، والاستعمال الوجداني. (انظر الجدول 1 بعده).

الجدول (1): كفاءات الذكاء الوجداني

مؤشراتها	الكفاءة الوجدانية
قدرة الفرد على الفك الملائم لترميز المعلومة الوجدانية التي تمررها حالته الوجدانية، وتلك التي تصله من الآخرين عبر التواصل معهم (نيليس، 2014أ: 42؛ نيليس، 2014ب: 64)	التعرف الوجداني
قدرة الفرد على التعبير عن حالاته الوجدانية، ومشاركتها، بطريقة متكيفة مع السياق، ومع أهدافه؛ وقدرته على الإنصات للآخر، وتسهيل تعبيره عن حالاته الوجدانية (كوتسو، 2014أ: 91)	التعبير الوجداني
القدرة على تحديد سبب نشوء الحالة الوجدانية المعيشة (كوتسو، 2014ب: 132).	الفهم الوجداني
قدرة الفرد على تعديل حالته الوجدانية (الإيجابية، أو السلبية)، بشكل يتوافق مع سياق الوضعية (ميكولاجسزاك، 2014ج: 138)	الضبط الوجداني
قدرة الفرد على استعمال الحالات الوجدانية لتسهيل التفكير (ماير، وسالوفي: 1997)، واتخاذ القرار المناسب للوضعية.	الاستعمال الوجداني

يمكن تقييبي الكفاءات الوجدانية، إلى: كفاءات تظهر خارجيًا، تتعلق بكفاءتي: التعبير الوجداني، والاستعمال الوجداني؛ وكفاءات تظهر داخليًا، مرتبطة بكفاءات التعرف الوجداني، والفهم الوجداني، والضبط الوجداني. وفي هذا الاتجاه سارت معظم اختبارات قياس الذكاء الوجداني. هذا التقييبي لا يزيد من قيمة فئة من الكفاءات على حساب الأخرى، وإنما يوضح أن كفاءات الذكاء الوجداني، لا تتمظهر جميعها بشكل مباشر على المستوى الخارجي، والعلائقي؛ وإنما تظل مرتبطة في جزء كبير منها بالجانب الداخلي للإنسان، المقتصر على سيوررات معالجاته الذهنية؛ مثل الإدراك الذي يحقق التعرف، والفهم؛ والمراقبة الانتباهية، والكبح اللذان يساهمان في تحقيق الضبط؛ ومن ثم تظهر مخرجات هذه المعالجات على شكل سلوكيات (مناسبة، أو غير مناسبة) يتم التعبير عنها بطريقة معينة (متكيفة أو غير متكيفة)، قد تتخذ شكل لفظ، أو رسم، أو إيماءة، أو رنة صوت، أو التزام صمت... كما قد يتم توظيفها، واستعمالها (بشكل ملائم، أو غير ملائم) في وضعيات متنوعة.

وعليه، تُعد جميع هذه الكفاءات الوجدانية مهمة، لتحقيق تكيف الإنسان مع محيطه، حتى وإن بدت كفاءة الضبط الوجداني أكثرها أهمية، فلا يمكن لمن لا يستطيع التعرف على المعلومة الوجدانية المستقبلية، أو لمن لم يتمكن من فهم سبب نشوئها، أن يتخذ القرار المناسب بضرورة التعبير عنها، من عدمه، أو بضرورة ضبطها، أو استعمالها الاستعمال الأمثل، لأنه من الأساس لا يمتلك القدرة على اكتشاف الاختلال الوظيفي الذي تتسم به الحالة الوجدانية التي يعيشها، والذي تظهر حسب ميكولاجسزاك (2014ج: 136) في عدم توافقها مع السياق، أو الأهداف المرصودة.

بناء على هذه التحديدات يظهر جليا أن الذكاء الوجداني، ذكاء تتفاعل فيه القدرات المعرفية، والقدرات الوجدانية، جنباً إلى جنب. فما القيمة التفسيرية التي يضيفها هذا المفهوم إلى حياة الأفراد؟

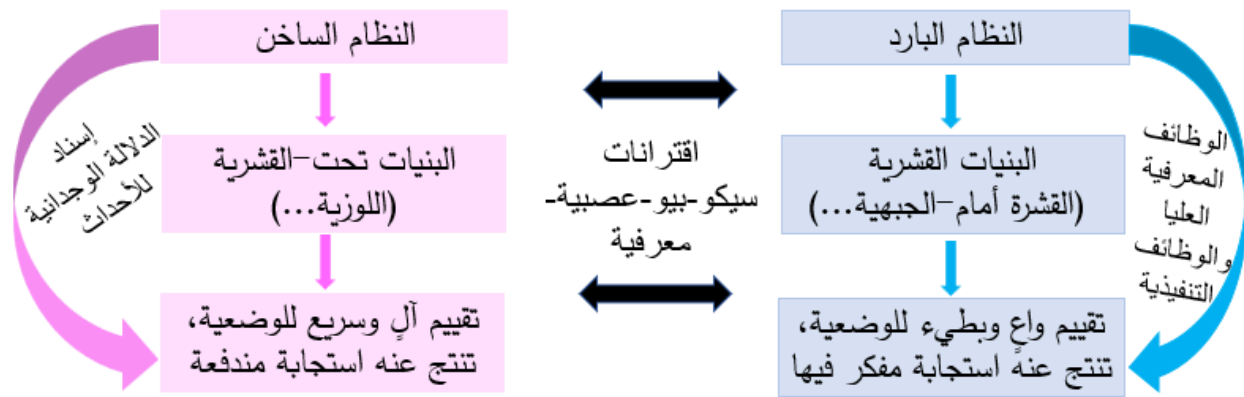
4.1. القيمة التفسيرية للذكاء الوجداني

تنبأ ماير وسالوفي وكاريسو (2004: 209) بأن الأفراد ذوي الذكاء الوجداني المرتفع، يبذلون جهوداً معرفية أقل من غيرهم، لحل المشكلات الوجدانية. كما اعتبر ونغ ولاو (2002) أن الأفراد ذوي الذكاء الوجداني المرتفع، يمكن أن يوظفوا ميكانيزمات ضبط الحالات الوجدانية الخاصة بهم، لخلق حالات وجدانية إيجابية، وكذلك لتعزيز نموهم الوجداني، والمعرفي (إنج Ng، وونغ Wang، وزلاكييت Zalaquett، وبودينهون Bodenhorn، 2008: 135). وهو ما يفسر جزئياً ملاحظة كولمان (1995) المفضية إلى أن الحياة تعج بأشخاص ذوي معامل ذكاء معرفي IQ منخفض، تمكنوا من النجاح في حياتهم، بينما فشل أشخاص آخرون في تحقيق هذا النجاح، رغم أنهم يتوفرون على معامل ذكاء معرفي IQ مرتفع.

ثبت أيضاً أن الذكاء الوجداني بمثابة مؤشر جيد على الصحة العقلية، والاجتماعية، والبدنية، والرفاه النفسي (الغوداني، 2019: 114)، بل إنه يرتبط ارتباطاً دالاً بأفضل النتائج في المجالين الأكاديمي، والمهني (ماير Mayer، وروبرتس Roberts، وبارساد Barsade، 2008؛ نقلاً عن: دي لورينزو Di Lorenzo، وفونتييري Venturelli، وسبيكا Spiga، وفيري Ferri، 2019: 33)، وبالأنشطة اللاصفية، "خاصة الأنشطة الرياضية" (بو عيشة، 2020: 69). بالمقابل؛ تؤثر الصعوبات، والاختلالات التي يجدها الأفراد على مستوى كفاءات الذكاء الوجداني، تأثيراً سلبياً على اشتغال النظام المناعي (بري Berry، وبينباكر Pennebaker، 1993؛ نقلاً عن: كوتسو، 2014: 93)، وترتبط باضطرابات سيكولوجية، مثل: الضغط النفسي، والقلق، والاكتئاب، والرهاب، والوسواس القهري (ميكولاجسزك، وليمينى Luminet، ومنيل Menil، 2006: 81).

2. التعيد السيكو-عصبي للذكاء الوجداني

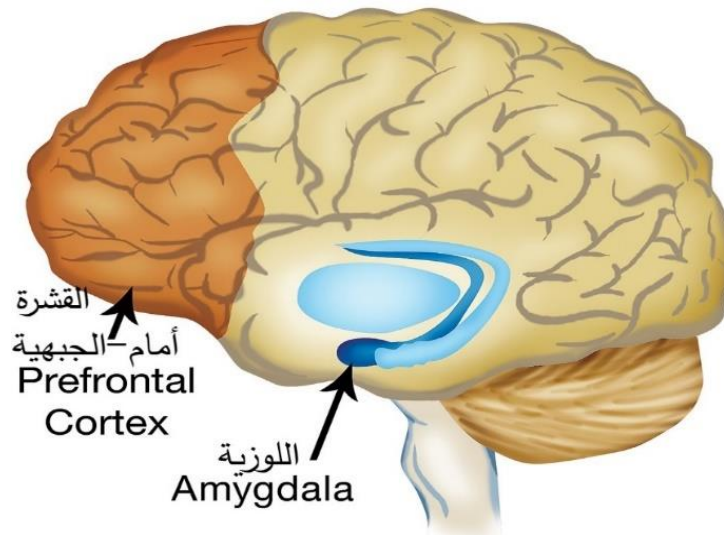
الجدير بالذكر، أن الدراسات التي تناولت الذكاء الوجداني، لم تقف عند حدود تعريفه، وكشف ارتباطاته مع متغيرات أخرى، ومجالات حيوية في الحياة، وإنما حاولت تعيده من الناحية السيكو-عصبية، من أجل فهم البنيات، والسيرورات السيكو-عصبية التي يستند إليها. وفي هذا السياق، أكدت معطيات التصوير الدماغية الوظيفية التفاعل القائم بين المعرفية الباردة، والمعرفية الساخنة، في بلورة مفهوم الذكاء الوجداني (انظر الشكل 1). حيث يمكن التمييز على المستوى السيكو-عصبي، بين: بنيات عصبية مسؤولة عن النظام البارد، تتمثل في البنيات القشرية على الخصوص؛ وبنيات عصبية أخرى مسؤولة عن النظام الساخن، تتمثل في البنيات تحت-القشرية، والنظام اللمبي؛ مع إمكانية حدوث تفاعلات، واقتراعات سيكو-بيو-عصبية بين النظامين، تكون ثنائية الاتجاه، وتتجسد في تكون مدارات سيكو-عصبية، وسيرورات سيكو-عصبية-معرفية محددة، توضح نمط الاشتغال السيكو-عصبي المهيمن لدى الفرد على مستوى هذه المناطق؛ وتنبأ؛ بالتالي، بمستوى ذكائه الوجداني، كما سيتم تفصيله في المحاور التالية.



شكل (1):

(البنيات العصبية، والسيرورات السيكو-معرفية الكامنة وراء النظامين: البارد والساخن)

كشفت دراسات دمازيو Damasio (1994)، ودافيدسون (1994) أن المدارات العصبية للوجدان لا تقتصر فقط على البنيات العصبية الوجدانية، مثل: اللوزية Amygdala، وإنما تتسع لتشمل أيضا عدة مناطق من القشرة أمام-الجبهية Prefrontal Cortex (انظر شكل 2)، خاصة: القشرة الظهرية الجانبية Dorsolateral، والقشرة البطنية المتوسطة Ventromedial، والقشرة المدارية الجبهية Orbitofrontal (انظر شكل 3)،



شكل (2):

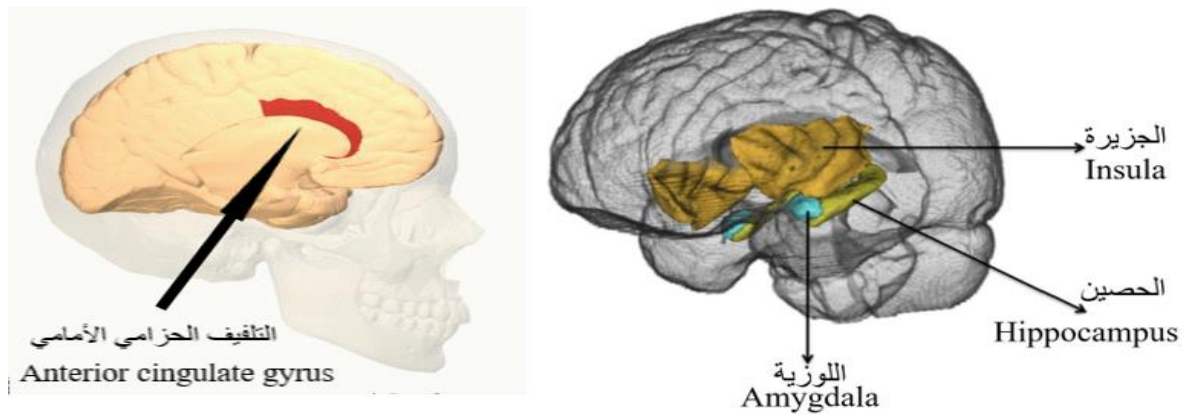
موضعة اللوزية والقشرة أمام-الجبهية في الدماغ (نقلا عن: سكيلس سيكان Skeels Cygan، 2016، بتصريف)



شكل (3):

(مناطق القشرة أمام-الجبهية المتدخلة في المدار العصبي الوجداني (ماتر Mather، 2015، بتصرف))

إضافة إلى الحصين Hippocampus، والجزيرة insula، والتلفيف الحزامي الأمامي Anterior Cingulate Gyrus (انظر الشكل 4) (دافيدسون، 2004؛ دافيدسون، 2004؛ ب؛ دافيدسون، 2000؛ نقلا عن: بوداروي، 2008: 28، 29؛ كرتاني، وزغبوش، 2020).



شكل (4):

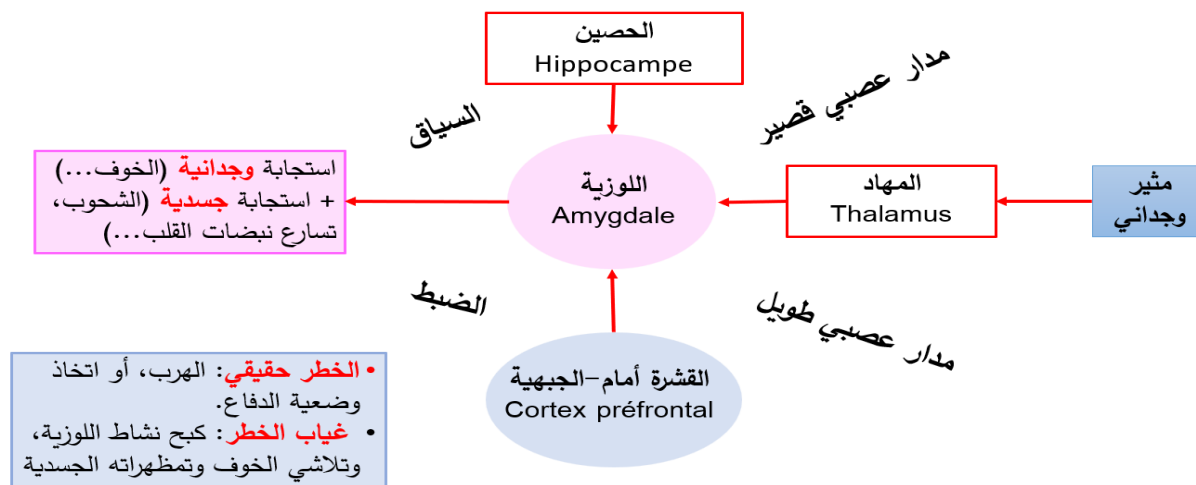
(موضعة بعض بنيات المدار العصبي الوجداني)

(نقلا عن: ماتر Mather، 2015، بتصرف؛ والقشرة الحزامية الأمامية Anterior Cingulate Cortex، بتصرف)

لكن، رغم توسع هذه الشبكة، تظل اللوزية والقشرة أمام-الجبهية (الشكل 2)، مركز تقاطع السيروتون العصبية المرتبطة بالمعرفية، والوجدان (دمازيو، 1994)، ومن ثم؛ بالذكاء الوجداني (كرتاني، وزغبوش، 2020).
فمن جهة؛ تلعب اللوزية دورًا مهمًا في إسناد الدلالة الوجدانية للأحداث الحسية (جيشويند Geschwind، 1964؛ نقلا عن: بوداروي، 2008)، فهي مركز الوجدان، ونقطة الاقتران على مستوى شبكة المعالجة الوجدانية، بين المناطق القشرية، والمناطق تحت-القشرية (بيرفس Purves، وآخرون، 2001؛ نقلا عن: بوداروي، 2008). ومن جهة أخرى؛ تتصف القشرة أمام الجبهية بكونها مركز التفكير،

والمراقبة، الذي يستطيع تعديل نشاط اللوزية الوجداني، والإسقاطي (ميكولاجسزك، 2014: 20). إنها مسؤولة عن الوظائف المعرفية العليا، والوظائف التنفيذية، مثل: ذاكرة العمل، والمعالجة اللغوية، والتفكير المجرد (فوستر Fuster، 2008؛ نقلا عن: ميكولاجسزك، 2014: 30)، والكبح، والمراقبة، والتخطيط (ليويس د. أ. Lewis D. A.، وليبيرمان ج. أ. Liberman J. A.، 2000؛ لوتسترا ف. Lotstra F.، 2002؛ نقلا عن: كوتسو، 2016: 40)، التي تمكنها من التحكم في الحالات الوجدانية (دافيدسون Davidson، 2004؛ أوكسنر Ochsner، وآخرون، 2002؛ نقلا عن: ميكولاجسزك، 2014: 149)؛ وضبطها (ليويس د. أ. Lewis D. A.، وليبيرمان ج. أ. Liberman J. A.، 2000؛ لوتسترا ف. Lotstra F.، 2002؛ نقلا عن: كوتسو، 2016: 40).

كيف تتجسد؛ إذن، التفاعلات بين بنيات النظام العصبي البارد، وبنيات النظام العصبي الساخن، على المستوى السيكو-عصبي-معرفي؟ يتم تنشيط السيرورات الوجدانية عامة وفق مدارين عصبيين اثنين (انظر الشكل 5)، يتمثلان حسب لودوكس Ledoux (1998، نقلا عن: كوتسو، 2016) في:



شكل (5):

مداران عصبيان خاصان بتنشيط السيرورات الوجدانية (لودوكس، 1998؛ نقلا عن: كوتسو، 2016؛ بتصرف)

- مدار عصبي قصير (12 جزءاً من الثانية ms) غير واعٍ وآلي، يمر مباشرة من المهاد Thalamus إلى اللوزية، دون المرور من القشرة أمام-الجبهية. مثلاً: أثناء مواجهة الفرد لوضعية يعتبرها خطيرة، ينشط المهاد اللوزية عن طريق إرساله للمعلومة الآتية من الحواس مباشرة إليها (ميكولاجسزك، 2014: 28). فتستجيب اللوزية بشكل سريع، عبر تحريرها الآلي للخوف كاستجابة وجدانية مناسبة لسياق الوضعية، مع ما يرافقه من استجابات جسدية، من قبيل: تسارع نبضات القلب، وشحوب الوجه، وتعرق الجسم وجموده. فيظهر الخوف آلياً قبل أي تقييم واعٍ للخطر من طرف الفرد. بمعنى آخر، يكون تحفيز اللوزية،

وتوليدها للاستجابات الوجدانية، والجسدية الخاصة بالخوف، أسرع، وأسبق من تحفيز المعرفية وتدخلها عن طريق التقييم، والتأويل الواعين للوضع (لودوكس، 1998؛ نقلا عن: كوتسو، 2016).

- مدار عصبي طويل (24 جزءًا من الثانية ms) تتدخل فيه القشرة الدماغية أمام-الجبهيّة، بين المهاد واللوزية. إذا أخذنا المثال السابق: حين يواجه الفرد وضعية خطر، يمكن للمهاد أن يرسل المعلومة أيضا إلى القشرة أمام-الجبهيّة، التي تقوم بفك ترميز الوضعية المواجهة بطريقة مفصلة، وواعية. إذا تبين أن الخطر حقيقي فعلاً، سيتم الإبقاء على التظاهرات الجسدية للخوف، وسيتم اتخاذ قرار مفض إلى الهرب، أو اتخاذ وضعية الدفاع عن النفس. أما إذا تبين غياب الخطر، فإن القشرة أمام-الجبهيّة تكبح وظيفة اللوزية، فيتلاشى الخوف، مع كل تعبيره الجسدي (لودوكس، 1998؛ نقلا عن: كوتسو، 2016).

أصبح من الواضح أن التفاعل بين المعرفية الباردة، والمعرفية الساخنة، أمر حتمي، بل وضروري لاستقامة الحياة. لكن، لازال هذا التفاعل يحتاج لمزيد من التدقيق والتمحيص، من أجل فهمه، وضبطه.

3. مناقشة وخلصات

تفيد المعطيات سالفة الذكر أن الذكاء الوجداني يرتبط، على المستوى البيو-عصبي-معرفي، بالمدار الوجداني الطويل (كرتاني، وزغبوش، 2020)، الذي يعمل على ضبط النشاط الضمني، واللاواعي، والسريع لبنيات النظام المعرفي الساخن (اللوزية خاصة)، وسيوراته، من خلال قيامه بوظيفة المراقبة الواعية في السيرورة العصبية الوجدانية، والتقييم المعرفي الواعي لوضعية المواجهة، ومن ثم؛ تعديل الاستجابات بما يناسب السياق، ويضمن تحقيق تكيف الفرد مع بيئته.

ويمكن القول إن الذكاء الوجداني ذكاء من نوع خاص، تخضع من خلاله التمثلات الباردة، ومثيلتها الساخنة، لمعالجة ذهنية سريعة، ومركبة، مرتبطة بالسيرورات الوجدانية، والسيرورات المعرفية، على حد سواء، دون إقصاء إحداهما؛ ليتمكن الفرد من تكوين صورة وجدانية، ومعرفية شاملة عن الموضوع المعالج، ويوظفها كمعلومة قيمة في سيرورة اتخاذ القرار الأنسب، والأكثر تكيفا مع رغباته، وأهدافه، ومعطيات السياق الذي يوجد فيه. إن هذا الأمر يوضح أساس ارتباط الذكاء الوجداني بصحة الإنسان، وأدائه، ومردوبيته؛ كما يوضح شساعته، كمفهوم مرتبط بالوجدان، بمختلف الحالات الوجدانية التي ينطوي عليها (عاطفة، شعور، انفعال، مزاج، إحساس...)، دون أن يكون حكرا على حالة وجدانية دون أخرى. مما يفيد أن اختيار مصطلح "الذكاء الوجداني" للدلالة على مفهوم «Emotional Intelligence» عوض "الذكاء الانفعالي"، أو "الذكاء العاطفي"، أو "الذكاء الشعوري"، كما يتم تداوله في الإنتاجات السيكلوجية، يعتبر أنسب ترجمة للمفهوم، يمكن الاستقرار عليها، انطلاقا من تحليل الخصوصيات اللغوية، والسيكلوجية المحددة لهذه المفاهيم (راجع: كرتاني، وزغبوش، 2020).

ورغم الأهمية التي يكتسبها الوجدان في الحياة، إلا أن الدراسات التي تناولت التفاعل بين المعرفة الساخنة، والمعرفة الباردة، لازالت تتسم بالقلّة، والحدائثة، الأمر الذي يستدعي تعميق البحث، من جهة؛ في طبيعة هذا التفاعل، ونوعيته، ودرجته، وميكانيزماته، ونتائجه على صعيد مختلف مجالات الحياة، ومن جهة أخرى؛ لتوضيح إن كانت السيرورات الوجدانية؛ بدورها؛ قادرة على التدخل في اشتغال السيرورات المعرفية عامة، والتنفيذية خاصة. ومن هذا المنطلق، تفتح نتائج الأبحاث المعروضة، الأفاق لاتجاه الدراسات المستقبلية نحو تعميق البحث في التفاعل القائم بين المعرفة الباردة، والمعرفة الساخنة، من زوايا مختلفة، من بينها:

- دراسة التأثير الذي يمكن أن يمارسه الذكاء الوجداني على الأبعاد المعرفية للاشتغال الذهني للإنسان، على مستويي: سيروراته السيكو-معرفية، والسيكو-عصبية.
- البحث عن فهم أفضل للروابط القائمة بين اشتغال السيرورات المعرفية، والسيرورات الوجدانية، ومقارنة فعاليته لدى مختلف الفئات العمرية.
- بناء برامج تأهيلية، أو علاجية تستهدف تحسين مستوى الذكاء الوجداني لدى الفرد؛ نظرا لارتباطه بعدة مناح حيوية (سيكولوجية، وتربوية، ودراسية، واجتماعية، ومهنية...) متعلقة بجودة حياته.
- استحضار كفاءات الذكاء الوجداني أثناء بناء برامج تدريبية، أو تأهيلية، تستهدف تطوير الوظائف المعرفية.

قائمة المراجع

- بوعيشة، نورة. (2020). مستوى الذكاء الانفعالي لدى طلبة الجامعة الممارسين للأنشطة الرياضية، دراسة استكشافية بجامعة ورقلة. ورقة: مجلة أريد الدولية للعلوم التربوية والنفسية، 1 (1)، 66-78. <https://doi.org/10.36772/arid.aijeps.2020.113>
- علي، قيس محمد؛ وحموك، وليد سالم. (2014). الدافعية العقلية رؤية جديدة، عمان: مركز دبيونو لتعليم التفكير. (1).
- الغوداني، كريمة. (2019). الذكاء الوجداني: من المفهوم إلى الصحة النفسية. فاس: أبحاث معرفية، 10، 141-165.
- كرتاني، وفاء؛ زغبوش، بنعيسى. (2019). مفهوم الذكاء الوجداني: من العمومية إلى التدقيق السيكلوجي واللغوي. فاس: أبحاث معرفية، 11، 9-29.
- كرتاني، وفاء؛ زغبوش، بنعيسى. (2020). الأسس السيكو-عصبية المعرفية للذكاء الوجداني. ضمن: إسماعيل علوي، وبنعيسى زغبوش، ومصطفى بوعناني (المنسقون): الذاكرة، والوظائف التنفيذية، والذكاء الوجداني. (94-99) فاس: منشورات مختبر العلوم المعرفية، الكتاب 8.
- Albert, M-C. (2012). *Exploration des liens entre l'intelligence émotionnelle du gestionnaire, son style de leadership et la qualité de la relation qu'il entretient avec les membres de son équipe* (mémoire de maitrise). Retrieved from <https://biblos.hec.ca/biblio/memoires/2012NO37.PDF>
- *Anterior cingulate cortex*. (s.d.). In Wikipedia the free encyclopedia (undated). Retrieved on February 16, 2017 from https://en.wikipedia.org/wiki/Anterior_cingulate_cortex
- *Bar-On, R.* (2006). The Bar-On model of emotional-social intelligence (ESI). *Psicothema*, 18(Suppl), 13–25.
- Bodarwé, K. (2008). *Existe-t-il une corrélation entre l'intelligence émotionnelle et l'asymétrie préfrontale ? Investigation sur les corrélats neuronaux de l'intelligence émotionnelle et sur les implications dysfonctionnelles probables de celle-ci* (mémoire de maîtrise). Retrieved from <http://infolingu.univ-mlv.fr/english/Bibliographie/bodarwe.pdf>
- Damasio, A. R. (1994). *Descartes' error emotion reason and the human brain*. A.Grosset/Putnam books. Traduit de l'anglais par Blanc, M. (2006). *L'erreur de Descartes la raison des émotions*. Paris: Odile Jacob.
- Dejoux, C., Dherment-Férère, I., Wechtler, H., Ansiau, D. & Bergery, L. (2011). Intelligence émotionnelle et processus de décision. *Gestion 2000*, 28, 67-81. <https://doi.org/10.3917/g2000.283.0067>

- Di Lorenzo, R., Venturelli, G., Spiga, G., & Ferri, P. (2019). Emotional intelligence, empathy and alexithymia: A cross-sectional survey on emotional competence in a group of nursing students. *Acta bio-medica : Atenei Parmensis*, 90(4-S), 32–43. <https://doi.org/10.23750/abm.v90i4-S.8273>
- Goleman, D. (1995). *Emotional intelligence: Why it can matter more than IQ*. New York: Bloomsbury Publishing.
- Goleman, D. (2001). An EI-Based theory of performance. In D. Goleman, & C. Cherniss (eds.), *The Emotionally Intelligent Workplace: How to Select for, Measure, and Improve Emotional Intelligence in Individuals, Groups, and Organizations*. San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Joseph, D. L., & Newman, D. A. (2010). Emotional intelligence: An integrative meta-analysis and cascading model. *Journal of Applied Psychology*, 95(1), 54–78. <https://doi.org/10.1037/a0017286>
- Kotsou, I. (2014^أ). L'expression et l'écoute des émotions. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 89-114). Malakoff, Dunod.
- Kotsou, I. (2014^ب). La compréhension des émotions. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 115-132). Malakoff, Dunod.
- Kotsou, I. (2016). *Intelligence émotionnelle et management: Comprendre et utiliser la force des émotions*. Paris. Bibliothèque nationale. (E 3).
- Maquestiaux, F. (2017). *Psychologie de l'attention*. Louvain-La-Neuve: De Boeck Supérieur. (E 2).
- Mather, M. (2015). *The fate of emotion-related brain regions and monoaminergic neurotransmitter systems in aging prefrontal cortex amygdala insula dopaminergic influences noradrenergic influences relations between emotional processing in aging and brain function*. Retrieved from <https://www.semanticscholar.org/paper/THE-FATE-OF-EMOTION-RELATED-BRAIN-REGIONS-AND-IN-IN-Mather/27fabacb13299a82ea7efab915c9f4618d0c39c9>
- Mayer, J. D., & Salovey, P (1997). What is emotional intelligence?. In: P. Salovey & D. J. Sluyter (Eds.), *Emotional development and emotional intelligence: Educational implications*. New York: Basic Books.
- Mayer, J. D., Salovey, P., & Caruso, D. R. (2004). Emotional intelligence: Theory, findings, and implications. *Psychological Inquiry*, 15(3), 197–215. https://doi.org/10.1207/s15327965pli1503_02

- Mayer, J. D., Salovey, P., Caruso, D. R., & Sitarenios, G. (2003). Measuring emotional intelligence with the MSCEIT V2.0. *Emotion*, 3(1), 97–105. <https://doi.org/10.1037/1528-3542.3.1.97>
- Mikolajczak, M. (2014¹). Les émotions. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 11-34). Malakoff, Dunod.
- Mikolajczak, M. (2014²). Les compétences émotionnelles : *Historique et conceptualisation*. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 1-9). Malakoff, Dunod.
- Mikolajczak, M. (2014³). Introduction à la régulation des émotions. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 133-150). Malakoff, Dunod.
- Mikolajczak, M., Luminet, O., & Menil, C. (2006). Predicting resistance to stress: incremental validity of trait emotional intelligence over alexithymia and optimism. *Psicothema*, 18 Suppl, 79–88.
- Mikolajczak, M., Quoidbach, J., Nelis, D., & Kotsou, I. (2014). Les perspectives d’avenir dans le domaine des compétences émotionnelles. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 259-265). Malakoff, Dunod.
- Nélis, D. (2014⁴). L’identification des émotions. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 37-57). Malakoff, Dunod.
- Nélis, D. (2014⁵). L’identification des émotions d’autrui. Dans M. Mikolajczak, J. Quoidbach, I. Kotsou, D. Nélis, *Les compétences émotionnelles* (pp. 59-87). Malakoff, Dunod.
- Ng, K-MK., Wang, C. & Zalaquett, C P., & Bodenhorn, N. (2008). A Confirmatory Factor Analysis of the Wong and Law Emotional Intelligence Scale in a Sample of International College Students. *Int J Adv Counselling*, 30(2), 131–144. DOI 10.1007/s10447-008-9051-3
- [Petrides](#), K. V., & Furnham, A. (2001). Trait emotional intelligence: Psychometric investigation with reference to established trait taxonomies. *European Journal of Personality*, 15(6), 425–448. <https://doi.org/10.1002/per.416>
- Salovey, P., & Mayer, J. D. (1990). Emotional intelligence. *Imagination, Cognition and Personality*, 9 (3), 185–211.
- Skeels Cygan, D. (2016). *Retrain your brain for better financial decisions*. Retrieved from <https://www.abqjournal.com/808912/retrain-your-brain-for-better-financial-decisions.html>

- Stys, Y.; Brown, S. L. (2004). *Étude de la documentation sur l'intelligence émotionnelle et ses conséquences en milieu correctionnel*. Retrieved from <http://www.csc-scc.gc.ca/recherche/r150-fra.shtml>
- Van Der Linden, M. (2004). Fonctions exécutives et régulation émotionnelle. Dans T. Meulemans, F. Collette et M. Van der Linden, (ed.), *Neuropsychologie des fonctions exécutives* (pp. 137-153). Marseille, Solal, éditeur.
- Wong, C.S, Law, K.S. (2002). The effects of leader and follower emotional intelligence on performance and attitude: An exploratory study. *The Leadership Quarterly*, 13, 243–274. [https://doi.org/10.1016/S1048-9843\(02\)00099-1](https://doi.org/10.1016/S1048-9843(02)00099-1)